في طريقي إلى القسم الثاني من المقال ، وردتني رسالة من قارئ كريم وولي أمر، يضع بعض علامات الاستفهام حول بعض القضايا التي تشكل أولادهم: "بما انك تعمل الان بالمدارس المستقلة وتشيد بها ، ارجو ان تفيدني افادك الله فيما يختص بمستقبل هذه المدارس من ناحية المناهج خصوصا و اني عرفت من البعض ان المقرر غير موحد وان المقرر يضعه استاذ المادة هل هذه المعلومات صحيحة ، وانه ليس هناك استقرار بعد فى المدارس المستقلة وانها غير معترف بها من قبل وزارة التربية كل هذه التساؤلات مهمة بالنسبة لي لانني اريد ان اسجل اولادي بالمدارس المستقلة لذا اريد منك النصح والارشاد وجزاك الله خيرا". يحقّ للقارئ الكريم ولأولياء الأمور عامةً الاطمئنان على مستقبل أولادهم ، وحسب ما علمت أنه لا توجد عوائق في الانتقال بين المدارس المستقلة ومدارس الوزارة.

في مقابلة معه؛ تطرق الروائي الألماني من أصل سوري "رفيق شامي" إلى البحث العلمي في ألمانيا: "الأبحاث العلميـ ـة تحتاج إلى رعاية دائمة وإلى قاعدة عريضة وبنية مدرسية علميـ ـة وعقلانية تبدأ هنا في ألمانيا في الصف الخامس حيث يشترك ابني منذ سنوات "بأبحاث الشباب" وهو تشجيع على الاختراع وقد حصل إميل عدة مرات على جوائز لكن الأهم من الجائزة هو تشجيع الأطفال على التفكير العلمي، على التنظيم وعلى الصبر وطول النفس. في السنة السابقة قدم مع زميله وكلاهما لم يتجاوز الثالثة عشرة بحثاً عن الأذن البشرية كخاصة مميزة لكل إنسان كبصمة الأصابع. وقد صور حوالي مائتي أذن ليصل إلى نتيجة علمية وكنت أرافقه كسائق وهو يبحث عن توائم ليبرهن أن آذانهم أيضا مختلفة وهنا تعلم معي وتعلمت معه الصبـ ـر والبشاشة. الذي أثر علي أكثر الحفاوة التي قابله بها الناس الذي ذهب إليهم طالباً السماح له بتصوير آذانهم ولزم في بعض الحالات تصوير الجد والجدة والابن والابنة والحفيد والحفيدة ليقارن نقاط التشابه والاختلاف في الكمبيوتر إذ أن الصور كانت بكاميرا إلكترونية (ديجيتال) وما دامت المدرسة والجامعة في البلاد العربيـ ـة لم تع مهمتها الحضارية فليس هناك أمل أن نساهم عالمياً بالجديد".

هذا الطفل من بني جلدتنا وقد استطاع أن يصل إلى نتيجة علمية مهمة بتشجيع المؤسسة العلمية والأسرة ، فهل كان سيتوصل إلى هذه النتيجة في بلاده ؟ هذا السؤال كثيراً ما يطرح عند سماعنا بكفاءات عربية في المهجر ، أعادت إلى العقل العربي ثقته بنفسه.

لم تعد المدرسة العربية المكان الجاذب للأمل ، لم تعد غير المكان المناسب لسياسة استيعاب الطلاب ، وملء الوظائف و المقاعد ، وكتابة الذكريات على المقاعد المهترئة ، في ظلّ غياب استراتيجيات التعليم التي تتبناها الدولة العربية أمام زحف البطالة ، وتآكل البنى التحتية ، ونسب الزيادة المتفاقمة ، ففي كلّ عام تختنق آلاف المواهب وتذوي أمام غياب حلم كبير يدفع الجميع إلى العمل من أجله ، بعدما آلت كل

الأحلام الكبيرة إلى ذكريات مسطرة على دفتر الهزيمة العربي.

لا ينتظر من أي جامعة عربية تقديم بحث علمي، وإن كان المخترعون العرب يملؤون شوارع البؤس بالحماسة والإنجازات ، ففي العام الفائت وفي تصنيف علمي لأفضل خمسمائة جامعة عربية لم تحظ أي من جامعاتنا العربية بترتيب بينها ـ للتذكير فإن جامعة القاهرة هذا العام حصلت جامعة القاهرة على ترتيب معقول ـ ، مهمة معاهد التعليم العربية باتت في تصديق شهادات التخرج لطلاب حفظوا جيداً الدروس المهمة في الامتحانات ، حيث شجعت ثقافة النجاح على تنمية مهارة التذكر ، فبات طلابنا يحفظون حتى أرقام الصفحات التي تأتي منها الأسئلة. في حين غاب هاجس الإبداع عن الثقافة العربية، فكلّ شيء مستورد من إبرة الخياطة حتى قصيدة النثر.

عيسى الشيخ حسن